المترفون واثرهم على المجتمع البغدادي (العصر العباسي انموذجاً)

أ. د. أنس عصام اسماعيل الزيدي
مركز احياء التراث العلمي العربي/ جامعة بغداد
draa6864@yahoo.com

الملخص:
للترف اثار سلبية على المجتمعات الانسانية بشكل عام، وعلى المجتمع الاسلامي بشكل خاص، لذلك لم نجد القران الكريم يذكر المترفين بصيغة المدح بل بصيغة الذم، ويعد الترف من اهم أسباب زوال الامم وهلاك الشعوب. واكبر دواعي الفسوق والفجور والعصيان لرب العباد هو الترف المادي، ولم نجد على مر العصور طغيان وفسوق الفقراء والمعدمين بل العكس هو الصحيح، فالفقراء هم الاقرب الى الله تعالى واكثر مناجاة له وتضرعا اليه. لذلك عد العلماء السابقين كثرة المال نوع من انواع الابتلاء كقلته، فقد يصبر الانسان على قلة المال فليس له خيار آخر ، بينما كثرة المال تفتح امامه أبواب الانزلاق في مهاوي الفسوق والفجور والطغيان . وقد اخترنا احد العصور الاسلامية الاكثر قوة مادية وادبية وعلمية ، وهو العصر العباسي، وتحديدا في عاصمته بغداد ، حيث كانت حاضرة العالم الاسلامي بل العالم قاطبة ، ثم نظرنا الى مظاهر الترف في ذلك العصر ، ولاسيما في طبقة الخلفاء وتليهم طبقة الوزراء، ثم ينحدر الامر الى المجتمع عامة، ثم تأتي النتيجة الطبيعية لهذا الترف، وهو السقوط في مهاوي الرذيلة، ومن ثم انهيار الدولة بشكل كامل، حيث اجتاح التتار بغداد وفعلوا ما فعلوا من تدمير وحرق وقتل مما لا يسعني الوقت ومساحة الكتابة ذكره الان .
الكلمات المفتاحية : اثر ، مترفون ، مجتمع

Abstract:
Luxury has negative impacts on human societies in general, and on the Muslim society in particular. Therefore, we do not find the Quran mentions luxurious people in positive ways but rather in negative ways. Luxury is considered one of the most important factors for demise of nation and collapse of societies. The major reason of Immorality, debauchery and disobedience to the God is the material luxury. We do not see, -throughout history- the tyranny and immorality amongst the

poor and destitute people, but the opposite is the case. The poor people are the closest to Allah and more reaching and praying to him. Therefore, the first scholars considered the abundance of money as a type of examination, just as its scarceness. For man could bear the scarceness of money as he has no other option, while the abundance of money opens before him the doors for slipping into immorality, debauchery and tyranny. I chose one of most materially, culturally and scientifically powerful Islamic eras, which is the Abbasid era and in particular in the capital – Baghdad, the center of the Islamic world or rather the center of the entire world. Then, I looked into the pictures of luxury in this era, especially among the caliphs and below them the viziers, and then all the way to the common population. Then comes the natural result of such luxury, which is the fall into the abyss of vice, and then the collapse of the entire Caliphate, and the invasion of Baghdad by the Tatars and all the destruction, burning, and killing they committed, of which I do not have the time and space to write about here.

Key words: Impact, Luxurious, Society.

المقدمة: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين. وبعد.

كما هو معلوم فان الدول او الامم تنمو وتزدهر ثم تبدأ عوامل النخر تعمل فيها، وتتسرب اليها تدريجيا، وكلما زاد عمر الحضارة بدت تطفو عوامل الهدم الى السطح، وكلما تقدم بها العمر تجذرت فيها عوامل الهدم، فهي تمشي مع عوامل القوة الدافعة للحضارة وتتصارع معها ، وقد يطول ذلك الصراع مئات من السنين ، ولابد ان تلحق بها الهزيمة في النهاية، فتتمزق اوصالها، وتسقط في تدرج ينتقل من الخفاء الى العلن حتى تستسلم الى القانون الكوني العام في البناء والهدم، او الولادة ثم النشوء ثم الانحدار ثم الموت، الا ان الصراع القائم بين عوامل البناء والهدم هو الذي يحدد عمر الحضارة او الدولة، كحال الانسان في ولادته ونشوئه فقد يولد مريضا سرعان ما يستسلم الى الموت او قويا وهكذا، والحضارة كلما اعتمدت في تكوينها على القوانين الالهية الثابتة كلما طال عمرها، والحضارة الاسلامية لا تختلف عن باقي الحضارات في خضوعها للقوانين الكونية في البناء والهدم. وسنتناول الترف كأحد اهم عناصر الهدم في الامة .

المطلب الاول: الترف حقيقته وعواقبه

(قال ابن فارس: التاء والراء والفاء كلمة واحدة، يقال رجل مترف: منعم، وترفه اهله: اذا نعموه بالطعام الطيب والشيء يخص به)[1] (والمترف: المتنعم المتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها)[2] وعند قوله تعالى: ((وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ))[3]

والترف هو احد عوامل الهدم الاساسية في الحضارات الانسانية، فما انتشر الترف في امة من الامم الا اسرعت نحو الهاوية، لذلك نجد ان القران الكريم لم يذكر لنا الترف بصيغة المدح وانما بصيغة الذم . قال تعالى: ((وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا))[4]

(وقد كان بعض اهل العلم بكلام العرب من اهل البصرة يقول: قد يتوجه معناه اذا قرئ كذلك الى معنى اكثرنا مترفيها، وعن قتادة (آمرنا مترفيها) أكثرناهم)[5]

وقال الزمخشري: (ووجه المجاز انه صب عليهم النعمة صبا، فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات، فكأنهم مأمورون بذلك لتسبب ايلاء النعمة فيه، وانما خولهم اياها ليشكروا وليعملوا فيها الخير وليتمكنوا من الاحسان والبر، كما خلقهم اصحاء اقوياء، واقدرهم على الخير والشر، وطلب منهم ايثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق ، فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم)[6] وقال الرازي: (القول الثاني في تفسير قوله -امرنا مترفيها- اي اكثرنا فساقها. قال الواحدي: العرب تقول امر القوم اذا كثروا وامرهم الله اذا كثرهم، وآمرهم ايضا بالمد، والحاصل أن المعنى اذا اردنا ان نهلك قرية بسبب علمنا بانهم لا يقدمون الا على المعصية، لم نكتف في تحقيق ذلك الاهلاك بمجرد ذلك العلم، بل امرنا مترفيها ففسقوا فاذا ظهر منهم ذلك الفسق فحينئذ نوقع عليهم العذاب الموعود به، والوجه الثاني: في التأويل ان نقول (اذا اردنا ان نهلك قرية بسبب ظهور المعاصي من اهلها لم نعالجهم بالعذاب في اول ظهور المعاصي منهم ، بل امرنا مترفيها بالرجوع عن تلك المعاصي، وانما خص المترفين بذلك الامر، لان المترف هو المتنعم ومن كثرت نعم الله عليه كان قيامه بالشكر اوجب، فاذا امرهم بالتوبة والرجوع مرة بعد اخرى مع انه تعالى لا يقطع عنهم تلك النعم بل يزيدها حالا بعد حال، فحينئذ يظهر عنادهم وتمردهم وبعدهم عن الرجوع عن الباطل الى الحق، فحينئذ يصب الله البلاء عليهم صبا)[7] وفي تفسير العز بن عبدالسلام (آمرنا) اي كثرنا عددهم، امر القوم كثروا واذا كثروا احتاجوا الى امراء (مترفيها) الجبارون او الرؤساء[8]

ومن خلال هذه التفاسير للآية الكريمة يتبين لنا ان السنة الكونية في اهلاك وزوال الامم تحتاج الى اسباب ومن اهم اسبابها هو الترف المنتشر والمؤدي الى الفسوق والعصيان. ولقد بلغ من كمال رحمة الله تعالى ان جعل من اعمال العباد ما يكون سببا لهلاك الناس فلا تحل بهم نقمته المباشرة، بل تأتي كنتيجة طبيعية لسوء اعمالهم حيث يقول تعالى : (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً) ومعنى هذا ان الله تعالى اذ يريد ان يطبق نظام المشيئة في قوم بإهلاكهم يؤمر عليهم بمعنى يولي عليهم من الطبقة الارستقراطية التي يلذ لها الترف واتباع الهوى واشباع الشهوات فيتبعهم الناس في هذا الغي حتى يعم الفساد ويحل الخراب ويحق العذاب الذي قد يصاب به من لا يستحقه بحسب سنن الكون على حد قوله تعالى: (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)[9] ولقد ابت عليه رحمته تعالى ان يحقق للناس رغبات السوء الا اذا اصروا عليها حيث يقول تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا

يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[10] إن لكل شيء في الدنيا زوال، وزواله بحصول استعداد يقتضي ذلك، وكما ان زوال البدن بزوال الاعتدال، وحصول انحراف يبعده عن بقائه وثباته، فكذلك هلاك المدينة وزوالها بحدوث انحراف فيها عن الجادة المستقيمة التي هي صراط الله وهي الشريعة الحافظة للنظام، فاذا جاء وقت اهلاك قرية، فلا بد من استحقاقها للهلاك ، وذلك بالفسق والخروج عن طاعة الله ، فلما تعلقت ارادته بإهلاكها ، تقدمه اولا بالضرورة فسق مترفيها من اصحاب الترف والتنعم بطرا واشرا بنعمة الله، واستعمالا لها فيما لا ينبغي[11] و(قال بعض السلف عن بعض اهل الترف يعصون الله تعالى في اموالهم مرتين يبخلون بها وهي في ايديهم، يعني في الحياة ويسرفون فيها اذا خرجت عن ايديهم يعني بعد الموت)[12]، وقد مدح الله تعالى التوسط والاعتدال في الانفاق فقال: (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا)[13] والمسلم مأمور بالاعتدال والاقتصاد في مأكله وملبسه ومركبه ومسكنه بحيث لا يخرج الى حد الاسراف والتبذير والتوسع في المباحات ، حتى لا يكون من اهل الترف الذين وصفهم الله بقوله: (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ)[14]، وقال تعالى عن اهل النار : (إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ)[15]، وقد حرم الاسلام اتخاذ اواني الذهب والفضة ، فعن انس بن مالك (رضي الله عنه) (ان النبي - ﷺ- نهى عن استعمال اواني الذهب والفضة لما فيه من الترف والخيلاء، وانه من زي الاكاسرة والاعاجم وقد قال ﷺ من تشبه بقوم فهو منهم)[16]، وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال:(نَهَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَشْرَبَ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَأَنْ نَأْكُلَ فِيهَا، وَأَنْ نَلْبَسَ الْحَرِيرَ وَالدِّيبَاجَ، قَالَ: هِيَ لِلْمُشْرِكِينَ فِي الدُّنْيَا، وَلَكُمْ فِي الْآخِرَةِ)[17] (ثم ان النبي كعادته غالبا بين الحكمة فقال: فإنها لهم في الدنيا ولكم في الاخرة، يعني انكم في هذه الدنيا لا يبلغ بكم الترف الى ان تأكلوا في آنية الذهب والفضة. هذا لمن؟ هذا يتمتع به الكفار الذين يتمتعون في هذه الدنيا كما تتمتع الانعام والنار مثوى لهم، اما انتم فاجلوا المسالة ، اجلوها الى ان تأكلوا وتشربوا فيها ابد الابدين ، وذلك في الاخرة)[18]، ولا شك ان عاقبة الترف هو زوال النعمة فقد حدث الربيع عن ابي جعفر المنصور وهو يصف اسباب زوال ملك بني امية (فقال المنصور: ولم تزل بنو امية ضابطين لما مهد لهم من السلطان يحوطونه ويحفظونه ، ويصونون ما وهب الله لهم منه مع كسبهم معالي الامور. ورفضهم ادانيها، حتى افضى الامر الى ابنائهم المترفين ، فكانت همتهم قصد الشهوات، وركوب اللذات من معاصي الله عز وجل، جهلا منهم باستدراجه، وامنا منهم لمكره، مع اطراحهم صيانة الخلافة ، واستخفافهم بحق الله تعالى وحق الرياسة ، وضعفهم عن السياسة فسلبهم الله العز، والبسهم الذل، ونفى عنهم النعمة)[19]، وما حصل للدولة الاموية حصل اكبر منه عند نهاية الدولة العباسية على يد التتار عام (656ه) حيث آلت السلطة والخلافة لمن لا يبالون بشعوبهم ، وانما فقط بملذاتهم ، فعندما احاطت التتار بذر الخلافة يرشقونها بالنبال من كل مكان ، اصيبت جارية كانت تلعب بين يدي الخليفة وتضحكه ، وكانت

من جملة خطاياه وكانت تسمى عرفة، جاءها سهم من بعض الشبابيك فقتلها وهي ترقص بين يدي الخليفة، فانزعج الخليفة من ذلك وفزع فزعا شديداً ، واحضر السهم الذي اصابها بين يديه، فاذا مكتوب عليه: اذا اراد الله انفاذ قضائه وقدره اذهب من ذوي العقول عقولهم، فامر الخليفة عند ذلك زيادة الاحتراز وكثرة الستائر على دار الخلافة. فقد تمكنت الدنيا تماما من قلوب الناس في بغداد، واولهم الخليفة ، فالخليفة الموكل اليه حماية هذه الامة في هذا الموقف الخطير يسهر هذه السهرة اللاهية ، فعاصمة الخلافة الاسلامية محاصرة، والموت على بعد خطوات منها ، والمدفعية المغولية تقصف بمنتهى العنف، والسهام النارية تحرق، والناس في ضنك شديد ، والخليفة يستمتع برقص الجواري، اين العقل والحكمة؟ وكيف كانت نفسه تقبل ان تنشغل بمثل هذه الامور ، والبلاد والشعب وهو شخصيا في مثل هذه الضائقة ، وما ابلغ العبارة التي كتبها التتار على السهم الذي اطلق على دار الخلافة، فقد اختيرت بعناية . ويكفي دليلا على قلة عقل الخليفة، انه بعد قتل الجارية لم يأمر الشعب بالتجهز للقتال ، وانما امر فقط بزيادة الاحتراز[20] فقد كبرت الدنيا جدا في عين المسلمين ايام التتار، وما يحصل عندنا اليوم هو مشابه لما كانت عليه الدولة الاسلامية قبيل سقوط بغداد بيد التتار، فعندنا اجيال كاملة من المسلمين اليوم لا تعيش الا لدنياها، وان كانت حقيرة وذليلة، فاليوم كل فرد يعيش لنفسه ، ويجمع المال ويتجمل ويحسن معيشته ، ويتنعم بأنواع الطعام والشراب والمواكب والمساكن، وهكذا غرق المسلمون في دنياهم، وتجد الكثير من الشباب يحفظ الاغاني اكثر مما يحفظ القران، وكثير منهم يعرف بالتفصيل تاريخ حياة الفنانين والفنانات الاحياء منهم والاموات ، ويعرف سيرة كل لاعب في بلادنا أو في غيرها، ولا يعلم شيئا عن تاريخ وسيرة ابطال وعلماء وقواد المسلمين ، بل لا يعلم شيئا عن اصحاب رسول الله ﷺ بل قد لا يعلم شيئا عن الرسول ﷺ نفسه، وقد وصل الترف اليوم في بلاد المسلمين الى عموم المسلمين، ونظرة سريعة الى البلاد الاسلامية الغنية تغنيك عن التفصيل، واما الترف الفكري فهو كثير جدا، فتجد اذهان الكثير ممن يعتبرون انفسهم من المثقفين مملوءة بأشياء لا تسمن ولا تغني من جوع ، أما افكار فلسفية او مدارس علمانية او نظريات مادية، او اقوال وحكم لأناس لا يزنون شيئا ابدا في ميزان الحق، وهذا لا يصح لامة تعاني الازمات واكثر من بقعة من بقاعها محتلة، وهي متأخرة في معظم مجالات الحياة.[21]

المطلب الثاني: مظاهر الترف في المجتمع البغدادي

وقبل الدخول الى تفاصيل مظاهر الترف لنا أن ننظر الى وصف اهل العراق من قبل الخطيب البغدادي حيث يقول: (إن العراق الذي بنيت فيه بغداد، وهي صفوة الارض ووسطها، يحيط به ستة اقاليم هي بلاد الترك والهند والصين والشام والحجاز ومصر، لذلك اعتدلت الوان اهله وامتدت اجسامهم، وسلموا من شقرة الروم والصقالبة، ومن سواد الحبش وسائر اجناس السودان، ومن غلظة الترك، ومن جفاء اهل الجبال وخراسان، ومن دمامة اهل الصين ومن جانسهم وشاكل خلقهم، فسلموا من ذلك كله، واجتمع في اهل هذا القسم من الارض محاسن جميع اهل الاقطار، بلطف من العزيز

القهار، وكما اعتدلوا في الخلقة ، كذلك لطفوا في الفطنة والتمسك بالعلم والادب ومحاسن الامور)[22]، واما الخلفاء العباسيون فلم يكونوا على مستوى واحد من الجد ففي عهد السفاح والمنصور كانت الدولة جادة لا تفرط في اللهو كثيرا ولا تشجع اصحاب هذه الميول ، وكل همها صبه على تأسيس ركائز الدولة ونشر الامن في ربوعها المتعددة الاطراف[23]، وكان المنصور لا يسرف في عطاء لحاد ولا لشاعر ولا لمادح، ويؤنب أولاده إذا أسرفوا في العطاء، ولا يتغالى في ثوب يلبسه، ولا مائدة تمد إليه، إنما هو مقتصد في كل ضروب الحياة، مقتصد حتى فيما احل الله، وربما غلا في الاقتصاد غلو من بعده في الاسراف[24]، يقول أحمد امين: (ونحن إذا تتبعنا تاريخ الدولة العباسية في هذا الباب وجدنا أن الدولة كانت تسير خطوات متدرجة إلى هذه الغاية وأن كل خليفة كان يعلو- غالبا- درجة في سلم الترف والنعيم عمن قبله، وأننا لو خططنا رسما بيانياً لاتجه صاعداً باستمرار في عصر كل خليفة تقريباً، والناس في كل عصر – وخاصة في هذه العصور- تبع لإمامهم)[25]، حيث ان المال سلاح ذو حدين، حد ايجابي خير للإعمار، وحد سلبي للدمار، ويعود ذلك للطريقة التي يصرف بها وللقائمين على ادارة الدولة، والعراق في العصر العباسي كان مصب اموال المملكة بحكم انه مركز الخلافة، والمال كان سببا رئيسيا في اللهو، ومع المال تبعه الشراب والغناء والرقيق والجواري وما الى ذلك من الوان الترف[26] (حتى يحكى عن احد القواد في القرن الرابع انه لما جاءت فرقة من الجند من بغداد للقيام بغزوة هامة لم يجدهم اهلا لذلك لانهم في رايه، قد الفوا بيوت دجلة وشرب النبيذ والثلج وبيوت الخيش المبلل وسماع القيان)[27]

الترف في المجتمع البغدادي:

ولابد من بعض التوضيح عن المجتمع البغدادي، فالشعب في بغداد آنذاك كان شعبا كبيرا ضخما، عدده ثلاثة ملايين نسمة على الاقل، فقد كانت بغداد اكبر مدينة على وجه الارض، وسكانها كانوا اكبر عدد من السكان في مدينة واحدة، وهذا غير السكان الذين في المدن والقرى المحيطة ببغداد، فلم تكن تنقصهم الطاقة البشرية ولا الاموال، فقد كانوا شعبا مترفا حقا، الفوا حياة الدعة والهدوء والراحة، والملتزم فيهم قد اكتفى بتحصيل العلم النظري، وحضور الصلوات في المساجد ، وقراءة القران، واما غير الملتزمين بالدين فقد كانوا كثيرين جدا، عاشوا لشهواتهم وملذاتهم، وتنافسوا في الوان الطعام والثياب وفي اعداد الجواري والغلمان وانواع الديار والحدائق[28] وسنتناول بعض هذه المظاهر بشيء من التفصيل.

العمران:

(انغمس العباسيون في الترف والبذخ بزيادة العمران وتدفق الثروة، وكانت قصور الخلفاء والامراء وكبار رجال الدولة مضرب المثل في حسن رونقها وبهائها، كما امتازت بفخامة بنائها واتساعها وما يكتنفها من حدائق غناء واشجار متكاثفة، كما ازدانت بالمناضد الثمينة والزهريات الخزفية والتربيعات المرصعة والمذهبة، وكان العباسيون ينفقون عن سعة في سبيل رفاهيتهم ويعيشون عيشة قوامها البذخ والاسراف

وحب الظهور)[29] وقد كان للخلفاء العباسيين والامراء والوزراء والولاة وكبار رجال الدولة ولوع شديد ببناء القصور الفخمة كقصر الذهب وقصر الخلد وقصر الوضاح وغيره من القصور الفخمة [30]، (وكانت قصور الخلفاء تشتمل على دور واسعة وقباب وأروقة وبساتين ومسطحات مظللة بالأشجار ، وكانت الاروقة تسمى بالاربعيني او الستيني، على قدر الغلمان لو يجتمعون في كل منها ، ومن هذه القصور: قصر الذهب الذي بناه ابو جعفر المنصور في وسط بغداد، وقصر الخلد الذي بناه على شاطئ دجلة الغربي تجاه باب خراسان وتأنق في بناءه وتجميله حتى سمي (الخلد) تشبيها له بجنة الخلد، وبنيت حوله المنازل فاصبح القصر وما حواليه يعرف بالخلد)[31] وفي عهد المنصور العباسي اتخذت طريقة اخرى للتبريد، فكانوا ينصبون الخيش الغليظ ولا يزالون يبللونه بالماء، فيبرد الجو[32]، يقول الحموي: (وكان قصر التاج الذي بني في بغداد بعد ذلك بأربعين سنة صورة مكبرة للطراز الحيري فكان وجهه مبنيا على خمسة عقود، كل واحدة منها على عشرة اساطين والاسطوانة على خمسة اذرع)[33]، وعن محمد بن عبدالله التميمي: (وكان المأمون جالسا في ايوان قد ابتدعه لنفسه لم يبتدعه احد من الخلفاء قبله، وكان قد تأنق في بنائه ، وكان فيه من كل صورة في البر والبحر ممثلة من الذهب والفضة، وقد فرشة ببساط من الديباج الاصفر، واسبل عليه ستورا من الحرير الصيني)[34] ، وحوالي منتصف القرن الثالث الهجري احدث المتوكل بناءً لم يكن الناس يعرفونه، وهو المعروف بالحيري يعني ان اصله يوناني شرقي وصار متبعا في القصور الكبيرة، وكان المتوكل يجعل دون قصوره ثلاثة ابواب عظام جليلة يدخل فيها الفارس برمحه، وقد اتبع الناس المتوكل إئتماما بفعله، حتى اشتهر هذا البناء[35]، وكان للقاهر في بعض الحصون بستان قد غرس فيه النارنج وقد حمل اليه من البصرة وعمان مما حمل من ارض الهند، وقد اشتبكت اشجاره، ولاحت ثماره كالنجوم من احمر واصفر، وبين ذلك انواع الغروس والرياحين والزمر، وقد جعل مع ذلك في الحصن انواع الاطيار من القماري والدباسي والشحارير والببغاء، مما قد جلب اليه من الممالك والامصار، وكان ذلك في غاية الحسن ، وكان القاهر كثير الشرب عليه، والجلوس في تلك المجالس)[36]، ويحكى ان الخليفة المقتدر بالله لما وفد عليه رسل ملك الروم سنة 305ه-917م، زين قصره ورتب آلته فيه، ثم ادخلهم اليه فرأى الرسل فيه العجب ثم اخرجوا الى (الجوسق المحدث) وكان دارا بين بساتين، في وسطها بركة رصاص، حولها نهر رصاص (احسن من الفضة المجلوة) وطول البركة ثلاثون ذراعا، وكان فيها اربع طيارات لطاف مذهبة ومزينة بالدبيقي المطرز واغشيتها دبيقي مذهب ، وكانت فيه شجرة من الفضة وزنها خمسمائة الف درهم، وللشجرة ثمانية عشر غصنا، عليها الطيور والعصافير من كل نوع مذهبة ومفضضة واكثر قضبان الشجرة فضة، وبعضها مذهب، وهي تتمايل في اوقات لها[37]، وكذلك البرامكة فقد اسرفوا كثيرا وعاشوا عيشة قوامها البذخ وحب الظهور، فاغدقوا الاموال على الشعراء والعلماء، فجعفر البرمكي انفق على بناء داره مليون ونيف دينارا غير الاثاث والفرش والرياش وما الى ذلك من اسباب البذخ والوان الترف [38]

الإسراف:

وسنتناول هنا بعض مظاهر الاسراف من الامراء والوزراء، فعندما جاء الامين زاد في اللهو نغمات جديدة فقد روى الطبري: (ولما ملك محمد وجه الى جميع البلدان في طلب الملهين وضمهم اليه واجرى لهم الارزاق ونافس في ابتياع فره الدواب واخذ الوحوش والسباع والطير وغير ذلك واحتجب عن اخوته واهل بيته وقواده واستخف بهم وقسم ما في بيوت الاموال وما بحضرته من الجوهر في خصيانه وجلسائه ومحدثيه وحمل اليه ما كان في الرقة من الجوهر والخزائن والسلاح وامر ببناء مجالس لمتنزهاته ومواضع خلوته ولهوه ولعبه بقصر الخلد والخيزرانية وبستان موسى وقصر عبدويه وقصر المعلى ورقة كلواذي وباب الانبار وبناوري والهوب وامر بعمل خمس حراقات في دجلة على خلقة الاسد والفيل والعقاب والحية والفرس وانفق في عملها مالا عظيما)[39]، وكذلك ما حصل في زواج المأمون من بوران، فلما دخل عليها وعندها حمدونة وام جعفر وجدتها فلما جلس المأمون معها نثرت عليها جدتها الف درة كانت في صينية من ذهب فامر المأمون أن تجمع وسألها عن عدد ذلك الدر كم هو فقالت الف حبة فامر بعدها فنقصت عشرا فقال من اخذها منكم فليردها فقالوا حسين زجلة فأمره بردها فقال يا امير المؤمنين انما نثر لنأخذه قال ردها فاني اخلفها عليك فردها وجمع المأمون ذلك الدر في الانية كما كان فوضعه في حجرها وقال هذه نحلتك[40] وقد انفق والد بوران الوزير الحسن بن سهل في زواج ابنته ما يفوق الخيال فقد نثر في ذلك من الاموال ما لم ينثره ولم يفعله ملك قط في جاهلية ولا في اسلام ، وذلك انه نثر على الهاشميين والقواد والكتاب والوجوه بنادق مسك فيها رقاع بأسماء ضياع وأسماء جوار وصفات دواب وغير ذلك، فكانت البندقية اذا وقعت في يد الرجل فتحها فقرأ ما فيها فيمضي الى الوكيل الذي نصب لذلك فيقول له ضيعة يقال لها فلانة الفلانية ، او جارية يقال لها فلانة الفلانية، او دابة صفتها كذا، ثم نثر بعد ذلك على سائر الناس الدنانير والدراهم ونوافح المسك وبيض العنبر، وانفق على المأمون وقواده وعلى جميع اصحابه ومن كان معه من جنوده ايام مقامه عنده حتى المكارين والحمالين والملاحين، وكل من ضمه العسكر من تابع ومتبوع مرتزق وغيره فلم يكن احد من الناس يشتري شيئا في عسكر المأمون مما يطعم ولا مما تعتلفه البهائم ، فلما اراد المأمون أن يصعد في دجلة منصرفا الى مدينة السلام قال للحسن: حوائجك يا ابا محمد، قال: نعم يا امير المؤمنين، اسالك ان تحفظ علي مكاني من قلبك فانه لا يتهيأ لي حفظه الا بك، فامر المأمون بحمل خراج فارس وكور الاهواز اليه سنة[41]، وكان بعض وزراء العصر العباسي الاول يعيش عيشة قوامها البذخ والاسراف فهذا يحيى بن خالد البرمكي قد بلغ من كرمه وجوده، انه كان اذا ركب اعد بدرا (صرارا) في كل منها مائتا درهم، يدفعها الى من يقفون في طريقه ويلتمسون سؤله، وقد كثر الوافدون على داره، وكانوا يسمونهم سؤالا، فقال اني استقبح هذا الاسم وفيهم الاشراف فسماهم زوارا، وهو اول من سماهم بذلك، فقال له بعضهم والله لا ادري اي اياديك عندنا اجل، اصلتنا ام تسميتنا[42]، ولما توفي نصر الدولة ابو نصر احمد بن مروان الكردي صاحب ديار بكر واستولى ابو

نصر على اموره وبلاده وتنعم نعيما لم يسمع بمثله وملك من الجواري والمغنيات ما اشترى بعضهم بخمسة الاف دينار واكثر وملك خمسمائة سرية سوى توابعهن وخمسمائة خادم وكان في مجلسه من الآلات ما تزيد قيمته على مائتي الف دينار[43] .

المجالس واللهو:

كثر النعيم في العصر العباسي، وكثر العنصر الفارسي العريق بالمدنية والممعن في الترف، وكثر الجواري يجلبن من الاصقاع المختلفة ، وكثر ظهور الجمال اذ لم تكن عامة الاماء يطالبن بحجاب فقويت النزعة الى اللهو والخلاعة والمجون، وشعر قوم من الشعراء بهذه النزعة من الناس امثال بشار وصريع الغواني وابي نؤاس، فقادوا زمامها والهبوها وسهلوا السبيل اليها، ولم تكن موجة المجون عامة في المجتمع العباسي بل كانت خاصة بالمترفين ومن حولهم من الشعراء والمغنين، اما عامة الشعب فلم تكن تعرف لا زندقة ولا مجونا[44] ولم يكن جميع الخلفاء بمستوى واحد من حب اللهو والطرب، فكان الهادي يشتهي من الغناء الوسط الذي يقل ترجيعه ولا يبلغ ان يستخف به جدا ، وكان اذا اعجبه الغناء قال لمغنيه (احسنت احسنت) ويكثر له العطاء[45]، ولم تقتصر مجالس المنادمة والطرب على الخلفاء وحدهم بل جاراهم في ذلك الامراء والوزراء وسائر رجالات الدولة. فقد وصف ابن طباطبا مجلس جعفر بن يحيى البرمكي حين كان يجلس للشراب ، ومعه ندماؤه الذين يأنس اليهم، وكانوا يلبسون الثياب المصبغة، من الحمر والصفر والخضر[46] وكان الشراب منتشرا رغم نهي القران عنه، ولكن مسالة الشراب كانت تختلف باختلاف البلاد فبينما كان يعاقب عليه في الحجاز- حتى يحكى انه في عام 169ه 758م قبض عمر بن عبد العزيز على احد العلويين مع اخرين على شراب، فامر بضربهم جميعا وبان تجعل في اعناقهم الحبال، ويطاف بهم في المدينة – كان اهل العراق لا يرون بالشراب بأسا، وانتشرت دور الخمر هناك ، كما كان عليه الحال قبل الاسلام، وكان الخمار والساقون والساقيات في الغالب نصارى[47]، ومن غرائب الامور انه لما (استقام الامر للقاهر وعظم في القلوب وزيد في القابه المنتقم من اعداء دين الله ونقش ذلك على السكة، وفي هذه السنة أمر بتحريم القيان والخمر وقبض على المغنين ونفى المخانيث وكسر الات اللهو وامر ببيع المغنيات من الجواري على انهن سوادج وكان مع ذلك لا يصحو من السكر ولا يفتر عن سماع الغناء)[48]، وتطور الامر في مجالس اللهو (الى امر اخر وهو رؤية الصراع فيحكى ان معز الدولة لما جاء الى بغداد اشتهى رؤية الصراع، فكان يعمل يحضرنه حلقة في ميدان فتقام شجرة وتجعل عليها ثياب الديباج والمروي ونحوها وتوضع تحتها اكياس فيها دراهم ويقف على سور الميدان اصحاب الطبول والزمور، وعلى الباب اصحاب الدبادب ثم يؤذن للعامة في دخول الميدان، فمن غلب اخذ الثياب والشجرة والدراهم، ثم دخل في ذلك احداث بغداد، حتى صار بكل موضع صراع، فاذا برع احدهم صارع بحضرة معز الدولة، فإن غلب اجريت عليه الجرايات، فكم من عين ذهبت بلطمة ، وكم من رجل اندقت[49]، وابشع ما ظهر من التهتك اثناء هذا التمدن مغازلة الغلمان وتسريهم، وظهر ذلك على الخصوص في ايام الامين، فكثر غلمان الترك والروم وفيهم

الارقاء بالأسر او بالشراء، وتسابق الناس على اقتنائهم ، كما تسابقوا الى اقتناء الجواري وغالوا في تزيينهم وتطييبهم ، وكانوا يخصونهم ليأمنوا تعديهم على نسائهم وجواريهم ، وربما اتخذت كل جارية خصيا لنفسها كالزوج[50]

. الطعام:

وغالى الخلفاء في استحضار الوان من الطيور والفاكهة من شتى البلدان البعيدة فيحملونه على البريد، ينفقون في ذلك الاموال الطائلة، وكانوا يربون الطيور الداجنة على اطعمة مغذية يتوهمون انها تزيد في لذة طعمها او نفعها او تسهل هضمها، فكانوا يقدمون الجوز المقشر علفا للفراريج[51] وقد انبهر الاصمعي لكثرة ما راه على مائدة الفضل بن يحيى البرمكي من الوان الطعام وما غسلوا به ايديهم بعد الاكل من الوان الطيب والغالية والعنبر[52]، (وحدث ابراهيم بن المهدي قال: استزرت الرشيد بالرقة، فزارني، وكان يأكل الطعام الحار قبل البارد ، فلما وضعت البوارد رأى فيما قرب اليه منها جام قريص مثل قريص السمك، فاستصغر القطع، وقال : لم صغر طباخك تقطيع السمك؟ فقلت: يا امير المؤمنين، هذه السنة السمك، قال: فيشبه أن يكون في هذا الجام مائة لسان ، فقال مراقب خادمه: يا امير المؤمنين فيها اكثر من مائة وخمسين، فاستحلفه عن مبلغ ثمن السمك، فاخبره انه قام بأكثر من الف درهم، فرفع الرشيد يده وحلف ان لا يطعم شيئا دون ان يحضر الف درهم فلما حضر المال امر ان يتصدق به، وقال: ارجو ان يكون كفارة لسرفك في انفاقك على جام سمك الف درهم ، ثم ناول الجام بعض خدمه وقال: اخرج من دار اخي، ثم انظر اول سائل تراه فادفعه اليه، قال ابراهيم: وكان شراء الجام على الرشيد بمائتين وسبعين دينارا، فغمزت بعض خدمي للخروج مع الخادم ليبتاع الجام ممن يصير إليه، وفطن الرشيد فقال له: يا غلام اذا دفعته الى سائل فقل له يقول لك امير المؤمنين احذر ان تبيعه باقل من مائتي دينار فانه خير منها، ففعل الخادم ذلك فو الله ما امكن خادمي ان يخلصه من السائل الا بمائتي دينار)[53]، وروي ان المنصور زار عيسى بن علي ومعه اربعة الاف رجل فتغدى عنده وجميع خاصته ودفع الى كل رجل من الجند زنبيل فيه خبز وربع جدي ودجاجة وفرخان وبيض ولحم بارد وحلاوي فانصرفوا كلهم مسمطين ذلك[54].

التغسيل والدفن:

وكان يعمل في تغسيل الكبراء وتكفينهم من الترف والاسراف ما هو غريب عن الاسلام فيحكى انه لما مات الامير سيف الدولة بن حمدان عام 346ه-967م غسل 9 مرات اولاها بالماء ثم بزيت النيلوفر ثم بالصندل، وبعد ذلك بالضريرة ثم بالعنبر ثم بالكافور ثم بماء الورد وغسل بعد ذلك ثلاث مرات بالماء المقطر، ونشف بعد غسله بدبيقي ثمنه خمسون دينارا اخذه الغاسل، وهو قاضي الكوفة الى جانب اجرته، ثم دهن بالزعفران والكافور ووضع على خديه ورقبته مئة مثقال من الغالية، وفي عينيه واذنيه ثلاثون مثقالاً من الكافور وبلغ ثمن كفنه الف دينار، ثم وضع في تابوته ورش عليه الكافور[55] وكذلك صار الكبراء يبنون لأنفسهم تربا ليدفنوا فيها ، واول من فعل ذلك ام

المقتدر وهي ام ولد رومية، بنت لنفسها تربة بالرصافة ، وكذلك بنى الخليفة الراضي (329ه-940م) تربة بالرصافة ايضا[56].

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد: فهذا جهد المقل ، وقد استعرضنا في هذا البحث اثر الترف على المجتمع المسلم، وكيف ذم الله تعالى الترف وجعله سببا لإهلاك الامم ، وقد اخترنا المجتمع البغدادي في العصر العباسي انموذجا لدراستنا عن الترف ، حيث كانت بغداد في ذلك العصر هي اكبر مدينة من حيث السكان ومن التطور الحضاري والعمراني في ذلك الوقت، وهي مركز الخلافة للدولة الاسلامية ، وهي حاضرة العالم العلمية بلا منازع، حتى صار الترف لاسيما عند الخلفاء والوزراء والاغنياء من سمات هذا المجتمع ، فالشعب في بغداد آنذاك كان شعبا كبيرا ضخما عدده ثلاثة ملايين نسمة على الاقل، فقد كانت بغداد اكبر مدينة على وجه الارض، وسكانها كانوا اكبر عدد من السكان في مدينة واحدة، وهذا غير السكان الذين في المدن والقرى المحيطة ببغداد، فلم تكن تنقصهم الطاقة البشرية ابدا ولا الاموال، فقد كانوا شعبا مترفا حقا، الفوا حياة الدعة والهدوء والراحة، والملتزم فيهم قد اكتفى بتحصيل العلم النظري، وحضور الصلوات في المساجد، وقراءة القران، وقد نسي الفريضة التي جعلها رسول الله - ﷺ – ذروة سنام الاسلام، فريضة الجهاد، واما غير الملتزمين بالدين فقد كانوا كثيرين جدا، عاشوا لشهواتهم وملذاتهم ، وتنافسوا في الوان الطعام والثياب، وفي اعداد الجواري والغلمان، وانواع الديار والحدائق والبساتين والدواب، ومنهم من التهى بسماع الاغاني والالحان عن سماع القران ، ومنهم من شرب الخمر ، ومنهم من اكل المال الحرام، ومنهم من ظلم العباد، وقد تنوعت مظاهر الترف عندهم بدءا بالعمران والبناء وانفاق الاموال الطائلة ، مرورا بالإسراف في المناسبات كالزواج وغيره، ثم الاسراف على موائد الطعام ، وانواع الترف في استجلاب الطعام من اماكن بعيدة، ثم مجالس اللهو والشرب والقيان والغناء وما يتبع ذلك من اسراف وتهتك وانتهاءً بمراسيم تغسيل وتكفين واماكن دفن الامراء والمترفين وانفاق الأموال الطائلة عليهم، وكل هذا الترف الذي كان سائدا في بغداد ايام الدولة العباسية اوصلهم لما وصلوا اليه من دخول التتار وانتهاك حرمة البلاد والعباد ثم سقوط بغداد عام 656ه.

الهوامش:

[1]- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ج1، ص345ت عبد السلام محمد هارون، ط 1399ت 1979م، دار الفكر.
الطبعة : 1399هـ - 1979م.

[2]- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، (606ه) ج1، ص187، ت طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي،1399هـ - 1979م، المكتبة العلمية، بيروت.

[3]- هود: 116

[4]- الاسراء:16
[5] - جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري، (ت 310هـ) ج17، ص 403- 404، ت احمد محمد شاكر، ط1، 1420هـ - 2000م، مؤسسة الرسالة بيروت.
[6]- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ابو القاسم محمود بن عمرو بن احمد الزمخشري ، جار الله (538ه)ج2، ص654، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت
[7]- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ابو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت606ه) ج2، ص314-315، ط3، 1420ه، دار احياء التراث العربي، بيروت
[8] - تفسير القران (و هو اختصار لتفسير الماوردي)، ابو محمد عزالدين عبد العزيز بن عبد السلام بن ابي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (660ه) ج2 ، ص215، ت عبدالله بن ابراهيم الوهبي، ط1، 1416ه-1996م ، دار ابن حزم، بيروت
[9] - الانفال:25
[10]- التوبة: 115
[11]- ينظر: محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت1332ه) ج6، ص451، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط1، 1418ه،دار الكتب العلمية ، بيروت
[12]- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ابو الحسن عبيد الله بن محمد عبدالسلام بن خان محمد بن امان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (1414ه) ج6، ص292، ط3، 1404ه-1984م، ادارة البحوث العلمية والدعوة و الافتناء- الجامعة السلفية، الهند.
[13] -الفرقان: 67
[14]- الاحقاف: من الآية 20
[15]- الواقعة: 45
[16]- كتاب الحاوي الكبير ، ابو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي (450ه)ج3، ص590، دار الفكر ، بيروت
[17]- مسند البزار كاملا من 1-14 مفهرسا، البَزَّارُ، صَاحِبُ (المُسْنَدِ) الكَبِيْرِ، ج1، ص 427، قام بفهرسته على المسانيد، الباحث في القرآن والسنة، علي بن نايف الشحوذ.
[18]- فتح ذي الجلال و الاكرام بشرح بلوغ المرام، محمد بن صالح ،ج1، ص116، ط1، 1427ه-2006م، المكتبة الاسلامية للنشر و التوزيع.
[19]- مروج الذهب ، المسعودي، ج1، ص473
[20]- ينظر: التتار من البداية الى عين جالوت ، راغب السرجاني ، ج5، ص11
[21]- ينظر: التتار من البداية الى عين جالوت ، راغب السرجاني، ج12، ص6
[22]- تاريخ بغداد، ابو بكر احمد بن علي بن ثابت بن احمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت463ه) ج1، ص320، تحقيق بشار عواد معروف، ط1، 1422ه-2002م ، دار الغرب الاسلامي، بيروت
[23]- ينظر: ضحى الاسلام، احمد امين، ج1، ص104، ط10، دار الكتاب العربي، بيروت.
[24]- ينظر: ضحى الاسلام، ج1، ص 106
[25]- ضحى الاسلام، ص 105
[26]- ينظر: المصدر نفسه، ص 125.
[27] - الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ادم متز، ج2، ص212، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، بيروت.
[28]- ينظر: التتار من البداية الى عين جالوت، ج5، ص6
[29]- تاريخ الاسلام السياسي والديني والاجتماعي، حسن ابراهيم حسن، ج2، ص329، ط14، 1416ه-1996م، دار الجيل، بيروت.
[30]- ينظر: حضارة العرب في العصر العباسي، حسين الحاج حسن، ص154، ط1، 1414ه-1994م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
[31]- تاريخ بغداد، احمد بن علي بن ابو بكر الخطيب البغدادي (ت463) ج1، ص75، دار الكتب العلمية، بيروت.
[32]- ينظر: تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، ابو جعفر الطبري (310ه)ج8، ص82، ط2، 1387ه، دار التراث، بيروت.
[33]- معجم البلدان، شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي (ت626ه)ج2، ص2، ط2، 1995م، دار صادر، بيروت.
[34]- اعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، محمد دياب الأتليدي ، ص332، ط1، 1410ه-1990م، دار صادر، بيروت.

[35]- ينظر: تاريخ اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، ج2، ص491، دار صادر، بيروت.
[36]- ينظر: مروج الذهب، المسعودي، ج2، ص182.
[37] - ينظر: تاريخ بغداد، ابو بكر احمد بن علي بن ثابت بن احمد بن مهدي، الخطيب البغدادي (ت463ه)، ج1، ص421، تحقيق د. بشار عواد ، ط1، 1422ه-2002م، دار المغرب الاسلامي، بيروت
[38] - ينظر: حضارة العرب في العصر العباسي، ص166.
[39]- تاريخ الامم والملوك، حمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الاملي، ابو جعفر الطبري (ت 310ه)ج5، ص111، ط1، 1407ه، دار الكتب العلمية، بيروت.
[40]- ينظر: تاريخ الطبري، ج5، ص171.
[41]- ينظر: تاريخ الطبري، ج5، ص171 وينظر: مروج الذهب ، ج2، ص49.
[42]- ينظر: الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (ت709ه) ج1، ص154، تحقيق عبدالقادر مايو، ط1، 1418ه-1997م.
[43]- ينظر: تاريخ ابي الفداء، الملك المؤيد اسماعيل بن ابي الفداء، ج2، ص115.
[44] - ينظر: تاريخ الطبري، ج7، ص136، و ينظر: حضارة العرب في العصر العباسي، ص169.
[45]- ينظر: تاريخ الطبري، ج4، ص616.
[46]- ينظر: الفخري في الآداب السلطانية و الدول الاسلامية، محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (709ه) ج1، ص204، تحقيق عبد القادر مايو ، ط1، 1418ه-1997م، دار القلم العربي، بيروت.
[47] - ينظر: تاريخ الطبري، ج4، ص596.
[48]- تاريخ الخلفاء، عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي ،911ه ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، 1317ه-1952م، مطبعة السعادة، مصر.
[49]- ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك و الامم ، عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ابو الفرج ، ج6، 241،ط1، 1358ه، دار صادر، بيروت.
[50]- ينظر: تاريخ ابي الفداء، الملك المؤيد اسماعيل بن ابي الفداء، ج1، ص421
[51]- ينظر: حضارة العرب في العصر العباسي ، ص184.
[52] - ينظر: المصدر نفسه،ص180.
[53]- مروج الذهب، المسعودي، ج2، ص10.
[54]- ينظر: معجم البلدان، شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي (ت626ه) ج4، ص361، ط2، 1995م، دار صادر ،بيروت.
[55]- ينظر: الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ص234.
[56]- ينظر: المنتظم ، لابن الجوزي، ص169.

المصادر:

1- علام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، محمد دياب الأتليدي ، ط1، 1410ه-1990م، دار صادر، بيروت.
2- تاريخ ابي الفداء، الملك المؤيد اسماعيل بن ابي الفداء.
3- تاريخ الاسلام السياسي والديني والاجتماعي، حسن ابراهيم حسن، ط14، 1416ه-1996م، دار الجيل، بيروت.
4- تاريخ الخلفاء، عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي ،911ه ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، 1317ه-1952م، مطبعة السعادة، مصر.
5- تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، ابو جعفر الطبري (310ه) ط2، 1387ه، دار التراث، بيروت.
6- تاريخ اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، دار صادر، بيروت.
7- تاريخ بغداد، ابو بكر احمد بن علي بن ثابت بن احمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت463ه) تحقيق بشار عواد معروف، ط1، 1422ه-2002م ، دار الغرب الاسلامي، بيروت
8- التتار من البداية الى عين جالوت ، راغب السرجاني .
9- تفسير القران (و هو اختصار لتفسير الماوردي)، ابو محمد عزالدين عبد العزيز بن عبد السلام بن ابي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (660ه) ت عبدالله بن ابراهيم الوهبي، ط1، 1416ه-1996م ، دار ابن حزم، بيروت

10- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري، (ت 310هـ) ت احمد محمد شاكر، ط1، 1420هـ - 2000م، مؤسسة الرسالة بيروت.
11- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ادم متز، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، بيروت.
12- حضارة العرب في العصر العباسي، حسين الحاج حسن، ط1، 1414ه-1994م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
13 - ضحى الاسلام، احمد امين، ط10، دار الكتاب العربي، بيروت.
14- فتح ذي الجلال و الاكرام بشرح بلوغ المرام، محمد بن صالح ، ط1، 1427ه-2006م، المكتبة الاسلامية للنشر و التوزيع.
15- الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (ت709ه)، تحقيق عبدالقادر مايو، ط1، 1418ه-1997م.
16- كتاب الحاوي الكبير ، ابو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي (450ه)، دار الفكر ، بيروت
17 - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ابو القاسم محمود بن عمرو بن احمد الزمخشري ، جار الله (538ه)، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت
18 - محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت1332ه)، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط1، 1418ه،دار الكتب العلمية ، بيروت
19 - مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ابو الحسن عبيد الله بن محمد عبدالسلام بن خان محمد بن امان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (1414ه)، ط3، 1404ه-1984م، ادارة البحوث العلمية والدعوة و الافتناء- الجامعة السلفية، الهند.
20- مروج الذهب ، المسعودي .
21- مسند البزار كاملا من 1-14 مفهرسا، البَزَّارُ، صَاحِبُ (المُسْنَدِ) الكَبِيْرِ، قام بفهرسته على المسانيد، الباحث في القرآن والسنة، علي بن نايف الشحوذ.
22- معجم البلدان، شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي (ت626ه)، ط2، 1995م، دار صادر، بيروت.
23- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت عبد السلام محمد هارون، ط 1399ه 1979م، دار الفكر.
24- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ابو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت606ه)، ط3، 1420ه، دار احياء التراث العربي، بيروت
25- المنتظم في تاريخ الملوك و الامم ، عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ابو الفرج، ط1، 1358ه، دار صادر، بيروت.
26- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، (606ه) ، ت طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي،1399هـ - 1979م، المكتبة العلمية، بيروت.